

**عبد الرحمن بدوي:**  
**الفيلسوف المتوحد**

**د/ أحمد صبحي**

obeikandi.com

أمر يحيرنى: لماذا أنجبت مصر - فى زماننا المعاصر - ما لم تصل إليه جميع الدول العربية من المفكرين الناخبين؟

أريد أن أتحرر من أى تحيز. ولا أحب أن أكرر مقولة مصطفى كامل: (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً) فهذه مقولة قالها فى زمن جثم فيه الاستعمار على معظم أرجاء العالم الإسلامى ووجه سهام نقده إلى مصر، باعتبارها مهد الحضارة، إن الإنسان يرغب أن يرضى بما أراد الله له من حيث المنشأ والموطن، وعليه - بعد ذلك - أن يسعى للتحرر من العوامل الجغرافية والاقتصادية والسياسية، إن كانت معوقة لنموه. إننا لو استعرضنا أسماء كبار أساتذة الفلسفة فى العالم العربى فى القرن العشرين فلن نجد من يطاول زكى نجيب وعبد الرحمن بدوى.

هل أقول مقولة الصديق عبد الغفار مكاوى: «مصر ولادة» أى ولود، ولكن ذلك لا يفسر الأمر إلا بأنها إرادة الأقدار [يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً].  
فلا فضل لأم البنين فيما أنجبت، كما لا ينبغى أن تتحمل العقيم أدنى قدر من الزاية.

هل نرد الأمر إلى (عبقرية المكان) كما فعل جمال حمدان، فنقول باجتماع موقع جغرافى أمثل مع وضع طبيعى مثالى فى تناسب وتوازن، ربما، وإن كانت عنده قد تفسر ذبوع الشهرة وعلو الصيت، فربما كان الشوكانى أغزر إنتاجاً وأعمق فكراً من الشيخ محمد عبده، ولكن الأول لم يبلغ صيت الأخير ولا شهرته، ولكن الأمر بالنسبة لزكى نجيب وعبد الرحمن بدوى ليس كذلك إن قارناهما بسواهما من أساتذة الفلسفة فى العالم العربى، ولكنها العبقرية الحقة فى نموذجين فريدين.

وقد أضاف العقاد إلى التساؤل بعداً آخر فى حديثه عن الشيخ محمد عبده<sup>(١)</sup> حين أشار إلى أن معظم مفكرينا نشأوا فى الريف ثم كان ظهورهم ونبوغهم فى المدينة، وهو أمر يصدق تماماً على الاثنين، فما عسى أن يكون ذلك التفاعل بين الريف

والمدينة، فى نبوغ الناخبين وظهور المفكرين؟ لست أدرى!

هذه مقدمة كان لابد منها قبل الحديث عن عبد الرحمن بدوى الذى أغنانا عن التنقيب عن سيرته بما كتبه عن نفسه فى موسوعته الفلسفية التى انفرد بتأليفها، وفيها يتبين أنه ألف أكثر من مائة وعشرين كتابا حتى عام ١٩٨٤ إلى جانب مئات المقالات والأبحاث التى ألقاها فى المؤتمرات الدولية بالعربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والأسبانية.

وقد يظن من يسمع هذا عنه أنه تفرغ تماما للفلسفة كما تفرغ جمال حمدان للجغرافيا، وأنه لم يشغل نفسه بشيء سوى العلم، غير أن من يعرفه فى شبابه، ومن اطلع على سيرته، يعرف أنه خاض فى السياسة وأنه كان عضوا فى حزب (مصر الفتاة) (من ١٩٢٨ - ١٩٤٠) ثم عضواً فى اللجنة العليا للحزب الوطنى (من ١٩٤٤ - ١٩٥٢) [ص ٢٩٦ من المجلد الأول من موسوعة الفلسفة] وأنه اختير عضواً فى لجنة الدستور التى كلفت - فى يناير ١٩٥٢ - بوضع دستور جديد لمصر.. وأنه أسهم - خصوصاً - فى وضع المواد الخاصة بالحريات والواجبات، وأتمت اللجنة وضع الدستور فى أغسطس ١٩٥٤ ثم يعلق قائلاً: «ولكن القائمين على الثورة لم يأخذوا به لما فيه من تقرير وضمانات للحريات والحكم الديمقراطى السليم، ووضعوا بدلا منه دستور ١٩٥٦ الذى صادر الحريات وكان مسندا للطغيان الذى استقر بعد ذلك لعدة سنوات» [نفس الصفحة السابقة]، ولنا على هذه الفترة من اشتغاله بالسياسة ملاحظتان:

**الملاحظة الأولى:** تتعلق بانضمامه إلى حزبين عرفا بالتطرف الوطنى - إن صح التعبير - فهل كان ذلك إيمانا منه بالعبرة التى أوردها فى كتابه عن رابعة العدوية: «إن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين، أما التطرف فمن شيمة الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ»<sup>(٧)</sup>.

**الملاحظة الثانية:** إن استقرار الطغيان - الذى أشار إليه - أدى إلى تفرغه التام للعلم، تماما كما أدى استيلاء معاوية على السلطة إلى أن طلق نفر من المعتزلة

السياسيين السياسة واشتغلوا بالعلم والعبادة، كما ورد في تفسير نشأة المعتزلة. ويعلق الدكتور على النشار على هذه الرواية بقوله: كثيراً ما يصحب السخط على مجريات أمور السياسة.. اعتكاف على العلم(٣) ..

وقد جعله تكوينه الفكرى جامعا بين الأصالة والمعاصرة، الأصالة حين تتلمذ على الشيخ مصطفى عبدالرازق، الذى يصفه بأنه كان مثالا كاملا للإنسان، نبالة نفس ومكارم أخلاق، كما كان عالما بالعلوم الإسلامية..... والمعاصرة حين تلقى العلم على أيدى نخبة من كبار أستاذة الفلسفة الفرنسيين وعلى رأسهم لا لاند.

ولكن هل كان بدوى مائلا إلى نهج المستشرقين فى ميدان الدراسات الإسلامية وعلى رأسهم باول كراوس، إنه يشير إلى أن لكرواس اليد الطولى فى توجيهه فى ميدان انتقال التراث اليونانى إلى العالم الإسلامى، بفضل علمه الهائل ومنهجه الفيلولوجى الدقيق ومكتبته الحافلة بأعمال المستشرقين، فضلاً عن أنه - فى ترجماته لدراسات المستشرقين - لا يلجأ إطلاقاً إلى التعقيب عليها من منظور إسلامى كما فعل الدكتور عبد الهادى أبوريده رحمه الله، ولكن من الخطأ أن يؤخذ ذلك عليه أو أن يتهم بضعف عقيدته، إذ كان ذلك هو منهجه فى كتب التراث، أن يقدم النص فى أمانة وموضوعية، يستوى عنده أن يكون حديثه عن المعتزلة أو الأشاعرة أو الإسماعيلية، اللهم إلا إذا كان النص يثير لديه الشكوك.

كما فعل فى حديث فريد الدين العطار، فيما نقله عن رابعة العدوية، والذى وصف ما يرويه بأنها أساطير، إذ الأمر هنا لا يتعلق بالعقيدة وإنما بالحقيقة المجردة التى يرى أنها أولى بالاتباع، وفقاً لمنهجه، فهو يرى أنه لا يكتب للمسلم بخاصة، وإنما للمثقف بعامه.

ومن ناحية أخرى ليس من بين مؤلفاته باللغة العربية كتاب له طابع أيديولوجى على خلاف الأمر لدى زكى نجيب الذى تعد معظم مؤلفاته - منذ الستينيات - متعلقة بمشكلة الأصالة والمعاصرة حيث لجأ إلى دراسة نقدية لتراثنا الفكرى، والمنهجان - فى رأى - متكاملان ومطلوبان.

وبصفتي مشتغلاً بالفلسفة الإسلامية فإنني أقرر أنه بالرغم من أن عبد الرحمن بدوي كان موسوعة كاملة في مختلف فروع الفلسفة مؤلفاً ومترجماً من عدة لغات أوروبية، فإن فضله على المشتغلين بالفلسفة الإسلامية لا يجارى، فما كتبه في غيرها كان يمكن أن يقوم به غيره تأليفاً أو ترجمة، أما ما قام به في نطاق الإسلاميات - وبخاصة تحقيقاته على مخطوطات - فإنه ينوء به فريق كامل من المشتغلين بها، ولا يقدر على ذلك غير عبد الرحمن بدوي، وهذا بعض ما كتبه فيها، تأليفاً أو ترجمة أو تحقيقاً:

١- من تاريخ الإلحاد في الإسلام

٢- أرسطو عند العرب

٣- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي

٤- شخصيات قلقة في الإسلام

٥- منطق أرسطو

٦- رابعة العدوية

٧- شطحات الصوفية

٨- منطق أرسطو (الجزء الثاني)

٩- روح الحضارة العربية

١٠- الإشارات الإلهية، للتوحيدي

١١- الإنسان الكامل في الإسلام

١٢- منطق أرسطو (الجزء الثالث)

١٣- الحكمة الخالدة، لمسكويه

١٤- فن الشعر، لأرسطو

١٥- البرهان من الشفاء، لابن سينا

١٦- عيون الحكمة، لابن سينا

١٧- في النفس، لأرسطو

- ١٨- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام
- ١٩- الأفلاطونية المحدثة عند العرب
- ٢٠- أفلوطين عند العرب
- ٢١- مختار الحكم، للبشر بن فاتك
- ٢٢- الخوارج والشيعية، لفلهاوزن
- ٢٣- الخطابة، لأرسطو طاليس
- ٢٤- تلخيص الخطابة، لابن رشد
- ٢٥- مخطوطات أرسطو في العربية
- ٢٦- مؤلفات الغزالي
- ٢٧- مؤلفات ابن خلدون
- ٢٨- فضائح الباطنية
- ٢٩- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي
- ٣٠- رسائل ابن سبعين
- ٣١- فن الشعر، لابن سينا
- ٣٢- ابن عربي.. لأسين بلاثيوس
- ٣٣- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي
- ٣٤- مذاهب الإسلاميين
- ٣٥- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية
- ٣٦- التعليقات، لابن سينا
- ٣٧- رسائل الكندي والغازابي وابن باجة وابن عدي
- ٣٨- مذاهب الإسلاميين ج٢
- ٣٩- أفلاطون في الإسلام
- ٤٠- صوان الحكمة، لأبي سليمان السجستاني
- ٤١- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن الثاني
- ٤٢- دراسات ونصوص محققة في تاريخ الفلسفة والعلوم عند العرب.

## وترجمة عن الفرنسية:

- 1- La Transmission de la Philosophie grecque au monde arabe.
- 2- Philosophie et theologie de L' Islam a L'epoque classique.
- 3- Histoire de la philosophie en Islam 2 vols.
- 4- Quelques Figures et thèmes de la philosophie Islamique.

فضلا عما كتبه عن بعض مفكرى الإسلام فى كتاب:  
History of Muslim philosophy.

هذا ما كتبه فى الفلسفة الإسلامية حتى ١٩٨٤ نقلا عن سيرته الذاتية فى موسوعة الفلسفة التى صدرت ١٩٨٤ وأعتذر عن عدم متابعة ما ألقه بعد ذلك. إنه - حقا - من فضل الله علينا - نحن المشتغلين بالفلسفة الإسلامية - أن ظهر عبد الرحمن بدوى، نمط فريد من الأساتذة والمفكرين يتعذر أن يكون له مثيل. لقد سعدت بالعمل مع أستاذى الدكتور عبد الرحمن بدوى أربع سنوات من أواخر عام ١٩٦٩ إلى صيف ١٩٧٣ فى ليبيا، وما من أحد يسمع منى ذلك الا ويقول: وكيف تعاملت معه؟، فالانطباع السائد عنه أنه متجهم مترفع عن صحبة الناس وإنك إن اقتربت منه فقد تمسك سخريته اللاذعة دون مناسبة، وحقيقة الأمر أنها غلالة رقيقة يخفى بها عبد الرحمن بدوى حقيقة مشاعره وخصاله التى تماثل خصال جماعة الملامتية، تلك الطائفة من الصوفية التى قيل عنها إنها كانت تظهر شراً وتضمهر خيراً وتحرص على أن يلومها الناس، اهتك عنه تلك الغلالة الرقيقة من التجهم والترفع، حينئذ سيتفجر لك: ينبوعاً من العلم فى شتى جوانب المعرفة. قد تعرفون عن عبد الرحمن بدوى أنه شاعر وأديب، كان الشعراء فى ليبيا يدعونهم إلى مجالسهم ليثقفهم فى علم العروض والأوزان والقافية، بل كان أساتذة اللغة العربية من دار العلوم يسألونه فى مشكلات لغوية فى صميم علوم اللغة وفقهاها.

ويذكرني عبد الرحمن بدوي<sup>(١)</sup> وما عاناه من أيام سيئة في آخر مقامه بليبيا، وقد تعرض للاعتقال ومصادرة كتبه واقتحام بيته في حركة همجية بربرية من جانب اللجان الشعبية، على أثر وشاية خسيصة، يذكرني بما وقع للغزالي الذي يروى عنه أنه تعرض لعصابة من قطاع الطرق في طريقه إلى الحجاز، وبعد أن سلبته كل ما يملك اندفع إلى رئيس العصابة قائلاً: خذ متاعى ومالى ولكن دع لى هذه الكرايس التى فيها العلم الذى أفنيت فيه عمرى، فما كان من رئيس العصابة إلا أن ضربه على رأسه قائلاً: كيف أنت عالم إذا لم يكن العلم فى رأسك، يقول الغزالي: فأليت على نفسى - بعدها- أن أحفظ كل كتاب يقع تحت يدي حتى لا يسلبنى العلم قاطع طريق»، أقول: كان بدوى أشد حرصاً من الغزالي فقد استوعب الدرس قبل مصادرة كتبه- وقد كانت تملأ كل جوانب شفته- ومن ثم لا تجد انقطاعاً فى التأليف بين سنتى ١٩٧٣، ١٩٧٤ وإنما تواصل وعتاء، فإن له ذاكرة يُغبط عليها مكنته من معرفة اللغات الأوروبية التى يعرفها، وقد أضاف إليها الفارسية حين انتدب للتدريس فى إيران عام ١٩٧٤، كما مكنته أن يستوعب كل ما يعى من معارف متنوعة فى شتى العلوم.

- ٢ -

وصف عبد الرحمن بدوى كتابه: (مذاهب الإسلاميين) بالقول: «كتاب يشتمل على أعلام أصحاب المذاهب الذين أنشأوا أنظمة فكرية استندت إلى التراث اليونانى من ناحية، والتراث الفكرى الإسلامى من ناحية أخرى، وتنتج عن هذا التأثير المزدوج مركب فكرى خاص امتاز بالأصالة إذا ما قورن بسائر التيارات الفكرية فى تاريخ الإنسانية، ومن هنا فإن من الواجب أن يدرس قائماً برأسه بوصفه إسهاماً خاصاً فى الفكر العالمى».

١- يقع الكتاب فى مجلدين كبيرين: يقع المجلد الأول فى ٧٥٠ صفحة، وقد صدرت طبعته الأولى عن دار العلم للملايين فى بيروت فى يناير ١٩٧١ عن المعتزلة والأشاعرة، وقد تناول فيه الأصول الخمسة لدى المعتزلة ثم أهم الشخصيات: كواصل

بن عطاء وأبى الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام ثم أبى على الجبائى وابنه أبى هاشم، عارضاً لجليل الكلام، أو بالأحرى (الإلهيات)، ثم دقيقه أو (الطبيعيات) وقد استغرق هذا الجزء ٤٨٥ صفحة، ولما كان أعلام المعتزلة من البصريين فإنه لم يفرد لمعتزلة بغداد مكاناً فى كتابه.

ثم انتقل إلى أعلام الأشاعرة بدءاً بمن تنسب الفرقة إليه وهو أبو الحسن الأشعري ثم الباقلانى والبغدادى والجوينى، ويقع حديثه عنهم فى ٢٦٠ صفحة. ولما لم تكن للأشاعرة آراء متميزة فى دقيق الكلام فإنه لم يلتزم بتصنيفه السالف بصدد المعتزلة، من تقسيم الكلام إلى جليل ودقيق، حيث طغت موضوعات أخرى كنظرية (الكسب) لدى الأشعري ونظرية (الإمامة) لدى الباقلانى، ثم تحديد الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة والجماعة لدى البغدادى، وأخيراً دخول الأشاعرة معترك الرد على الفلاسفة فى شخص الجوينى.

وهو فى هذا - كله - يستند إلى كل المصادر المتاحة، لا يكاد يفوته منها كتاب، وكذلك إلى المراجع الهامة، عربية وأجنبية.

ومع أنه يمكن أن يعد كتابه وثائقياً، لكثرة ما أورده من نصوص فإنه لا يخلو من تعليقات مفيدة كالرد على من نسبوا حرية الإرادة لدى القدرية والمعتزلة إلى يوحنا الدمشقى أو إلى الأثر المسيحى.

ومع أن من وردت أسماءهم من أعلام المعتزلة والأشاعرة قد ورد الحديث عنهم فى كتب أخرى فإن كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى أكثر شمولاً وأوفى بالغرض، حيث يعرض لأمر لا أظنها فى كتب غيره، فإن ورد الحديث عن ردود المعتزلة على المرقونية أو الديصانية أو المانوية فإنه يعطى القارئ فكرة مفصلة عن هذه النحل. وإن ورد ذكر أن نفقة أبى الحسن الأشعري كانت سبعة عشر درهماً فإنه يوضح للقارئ قيمة هذه العملة بالفضة آنذاك (ص ٥٠٣).

وإن ذكر أن عبد القاهر البغدادى عاش فى خراسان، ومع أن الكتاب فى العقائد وليس فى التاريخ السياسى، نحو ما ذكر، فإنه يتوسع فى الحديث عن خراسان [من

ص ٦٤٨ - ٦٦٠] بحجة أن خراسان لم تلق عناية كافية من الباحثين، مع أنها كانت أخصب البلدان الإسلامية بالتيارات الكلامية.

على أن هذا التوسع قد جاء على حساب موضوعات أخرى تفوقها أهمية، فهو لم يشر مثلاً إلى معتزلة بغداد، أو بالأحرى لم يفرد لهم مكاناً في كتابه مع أنهم قد أثاروا المشكلات الكلامية التي أحدثت جلباً مثل مشكلة (خَلْقِ القرآن)، كما أنه توقف بضد الأشاعرة عند الجويني، ومعلوم أن من جاءوا بعده كانوا أشد تأثيراً في الفكر الإسلامي مثل الغزالي، أو أقوى جدلاً مع الفلاسفة مثل الشهرستاني، ولكن الدكتور بدوى توقف حيث كنا نطمع منه إلى مزيد، سواء بالنسبة للمعتزلة أو الأشاعرة، بل إننا كنا نطمع منه عن أن يحدثنا عن فرق إسلامية أخرى كالظاهرية ومذهب السلف، ذلك أن حديثه له مذاق مغاير عما كتبه الآخرون ففيه التزام بالنزاهة التامة في العرض والحياد في الرأي وانتهاج للمنهج التاريخي الفيلولوجي ومن ثم فإن الشمول الذي يتعذر أن نجد له مثيلاً في كتاب آخر.

٢- يتبادل الدكتور بدوى في المجلد الثاني الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز، وهذه تمثل تيارات الباطنية الرئيسية، يجمعها كلها تأويل النصوص المقدسة، أو شبه المقدسة، تأويلاً باطنياً يختلف عن المعنى الظاهر ابتغاء التوفيق بين هذا المعنى وبين المطامع المستترة، إذ ارتبطت هذه الفرق باتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة.

يعد الدكتور بدوى هذه التيارات أيديولوجيات أكثر منها مذاهب فكرية، وما الأيديولوجية إلا البطانة النظرية للحركات السياسية والاجتماعية. وقد رأى الدكتور بدوى التوسع في تاريخها السياسي الذي يتعذر فهم أفكارها وأرائها دونه.

ويشير الدكتور بدوى إلى اهتمام فريق من المستشرقين منذ القرن التاسع عشر، فضلاً عن بعض الكتاب - يقصد اليساريين - بهذه الفرق بأقوى من اهتمامها بمذاهب المعتزلة، أهل السنة، ويصف هذا الاتجاه بأنه حب استطلاع مرضى يحفل بالأفكار الغربية والمذاهب الشاذة..... ويمتاز هذا المجلد باعتماده على عدد كبير من مخطوطات لم يسبق نشرها.

وقد انتهج المنهج التاريخي الفيلولوجي - تماماً كما فى الجزء الأول - ويفسر اختياره لهذا المنهج بأنه مؤرخ أفكار لا شأن له بالحكم عليها من منظور دينى أو مذهبى حتى لا يحيد عن الموضوعية أو يجانب الأمانة العلمية، فضلاً عن أنه ليس من حق فرقة بعينها أن تدعى أنها تملك - وحدها - الحق أو أنها تمثل الدين الصحيح، وهو فى ذلك محق إذ لم يلزم عن هذه الدعوى إلا اعتقاد كل فرقة أنها وحدها الناجية دون سائر فرق المسلمين.

ويمهد الدكتور بدوى للحديث عن الفرق المذكوره بتقديم التصورات الآتية:  
١ - التأويل الباطنى لدى اليهودية والمسيحية دون أن يعنى ذلك حكماً بتأثر فرق الباطنية فى الإسلام بها، إذ التأويل الباطنى قائم فى كل دين (ص ١٥).  
٢ - لما كان التشيع - وبخاصة فكرة تأليه على لدى بعض الغلاة - ترد إلى ابن سبأ فقد تتبع أمره وفكره.

٣ - وتأليه إنسان إنما يعنى التجسد - تجسد اللاهوت فى الناسوت - كما سترد لدى النصيرية: حيث تأليه على، أو الدروز: حيث تأليه الحاكم بأمر الله، وقد اقتضى ذلك الحديث عن عقيدة التجسد.

٤ - وتتبع فكرة المهديّة منذ نشأتها لدى الكيسانية إلى أن خرجت من نطاق الشيعة المحدود لتصبح معتقداً إسلامياً عاماً لدى كثير من فرق المسلمين.  
يشرح الدكتور بدوى فى حديثه عن الإسماعيلية بدعوة القرامطة التى اشتهرت بأمرين: بطابعها الاجتماعى من جهة، وبأخذهم الحجر الأسود من مكة من جهة أخرى، فيشرح بالتفصيل مراتب دعوتهم ومؤلفاتهم، وقد شغلت هذه الفرقة ما يقرب من مائة صفحة من الكتاب (ص ٩٢ - ص ١٨٧)

ويعد الفصل الذى عقده الدكتور بدوى عن أعلام الفكر الإسماعيلية وعن آرائهم من أهم فصول الكتاب لنا نحن المشتغلين بالفلسفة الإسماعيلية، وقد ذكر ستة عشر شخصاً من أعلامهم من أهمهم: أبو حاتم الرازى وأبو يعقوب السجزى. وحميد الدين الكرمانى والقاضى النعمان وناصر خسرو، ذاكراً أهم مؤلفاتهم.  
أما آراؤهم فقد قسمها إلى ثلاثة مباحث:

١- فى الإلهيات ٢- فى النفس الإنسانية

٣- فى الإمامة

ويعقد مقارنة دقيقة بين آراء الاسماعيلية وكل من إخوان الصفا وابن سينا فى الإبداع، ثم موازنة بين عالم الأفلاك وعالم الديانة.

وفى فكر أيديولوجى كان لابد من ذكر الواجبات نحو الأئمة ومفهوم كل من (الولاية) و(المعادلة).

ويؤكد فى الفصل الخاص بالأخرويات رفض الإسماعيلية لعقيدة (التناسخ) بالرغم من أن معظم عقائدهم يمكن أن ترد إلى مصادر أجنبية، غير أنه لما كان الاعتقاد بالتناسخ يتعارض تماما مع الاعتقاد بأن الثواب والعقاب فى اليوم الآخر فإنهم التزموا بالأصل الإسلامى.

يشغل الفصل الخاص عن أعلام الإسماعيلية من ص ١٨٨ - ٢١٥، أما آراؤهم الفلسفية ومعتقداتهم المذهبية فتشغل من ص ٢١٩ - ص ٣١٥.

والتزام الدكتور بدوى بالموضوعية المطلقة دعاه إلى استبعاد التعبير المستهجن الذى يطلق على إحدى صور الإسماعيلية وأعنى بذلك (الحشاشين)، وإنما يستخدم تعبير: (إسماعيلية الموت)، ولما غلب على هذه الطائفة الجانب السياسى والحربى فقد أفرد الدكتور بدوى مكانا لنشاطهم السياسى. غير أن الذى هم الباحث فى الفلسفة من طائفة إسماعيلية الموت أكبر عالم عاش بين ظهرانيم فترة طويلة واعنى به نصير الدين الطوسى (ت ٦٧٢ هـ) فيؤكد أنه كان اثنى عشرىا وليس إسماعيليا، ومن ثم لم يتوسع فى الحديث عن كتابه «تجريد العقائد» والشروح عليه لأنه يحمل طابعاً اثنى عشرىا.

ولا يجد النصيرية<sup>(٧)</sup> غرابه فى تأليههم عليا فكما تجسد جبريل فى صورة أعرابى ممثلاً للخير، وكما تمثل الشيطان فى صورة بشرية ليعمل الشر، ولما لم يكن بعد الرسول من هو أفضل من على، وقد ظهر فى صورتين: صورة بشرية، إلى أن خلصه ابن ملجم من صورته الناسوتية، فالنصيرية من أقدم صور غلاة الشيعة، وما زالت قائمة إلى يومنا هذا فى بلاد الشام، ويحبون أن يتسموا باسم العلويين وألا يتم

تمييز بينهم وبين سائر فرق الشيعة<sup>(٨)</sup>.

وقد ذكر الدكتور بدوى عاداتهم وأعيادهم وتتبع تاريخهم فى عصرنا الحاضر. ويقع هذا الجزء فى حوالى ٨٠ صفحة (ص ٤٢٥ - ص ٥٠٦)

وقد خصص الدكتور بدوى أكثر من ثلاثمائة صفحة لعرض ديانة الدرؤز (التوحيد) لا لاشتمالها على أفكار فلسفية أو كلامية وإنما لأنها أكثر العقائد غرابية وشذوذاً وتناقضاً.

وإذا كان التأليه لازماً عن غلو فى التقديس، فليس فى سيرة الحاكم بأمر الله ما يدعو إلى تقديسه أو يبرر تأليهه: شخصية سادية متناقضة شاذة باعثة على السخرية، ينشئ المساجد ويبطل المكوس ويسرف فى الكرم والتعبد وينزل أشد البطش والعقاب باللصوص والغشاشين، ويسرف أيضاً فى سفك الدماء بالقواد والوزراء والعلماء دون مبرر، ولم تأتنا سيرته من الخصوم والأعداء حتى يعد ذلك افتراءً عليه، وإنما لم ينكر ذلك دعواته مثل حمزة بن على ومحمد الدرؤزى. وانعكس ذلك التناقض على الأتباع، أما عقال المذهب ابتداءً بجمال الدين التنوخى (ت ٨٨٤هـ) وانتهاءً بالشخصية المعاصرة كمال جنبلاط، فشخصيات عرفت بالعلم والزهد والتقشف والعناية بأخبار الأولياء والصالحين، وأما العوام أو الجهال فنجد نقض أحكام الشريعة والقول بإسقاط التكاليف.

لقد تركنا الدكتور عبد الرحمن بدوى - بعد قراءة هذا الفصل الطويل عن الدرؤز - فى استغراب وعجز عن التفسير أو حتى التبرير ولكن يبدو أن الواقع يشتمل على غرائب تحير عقول المفكرين.

وبعد:

فكتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى «مذاهب الإسلاميين» - وبخاصة الجزء الثانى - كتاب فريد، لا يقوى على تأليفه غير عبد الرحمن بدوى، ليس فحسب للموضوعية والحياد، حيث غايته العلم ولا شئ غيره، وإنما لاستناده إلى حشد من المؤلفات والمخطوطات التى لا تتاح لأحد غير فيلسوفنا المتوحد «عبد الرحمن بدوى» جزاه الله عما قدم لنا - نحن المشتغلين بالفلسفة الإسلامية - جزاء العلماء العاملين المخلصين الصادقين ومتعه بالصحة والعافية والمزيد من العطاء

## الهوامش

- (١) عباس محمود العقاد: الشيخ محمد عبده (مجموعة أعلام العرب)
- (٢) عبد الرحمن بدوي: شهيدة المشق الإلهي ص ١٧ الطبعة الثانية ١٩٦٢.
- (٣) الملطى: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع.
- (٤) على سامى النشار: نشأة الفكر ج ١ ص ٤٢٠.
- (٥) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ص ٢٩٥.
- (٦) يذكر اسمه على أغلفة كتبه مجرداً من لقبه العلمى «دكتور» وذلك لأن المفكرين قد بلغوا مرحلة تجاوزوا فيها بكثير هذا اللقب.
- (٧) سمووا كذلك نسبة إلى نصير غلام الإمام على.
- (٨) يتشبهون بالشيعة فى الفقه الجعفرى غير أنهم يخالفونهم فى تأكيه على وفى الاعتقاد بالتناسخ، وإليهم ينسب رئيس جمهورية سوريا الحالى.